الفصل الثانى

التهيئة والإعداد للوالدين

بالأساليب التربوية النبوية للطفل

تمهيد.

المبحث الأول : أسس الأساليب التربوية المخاطب بها الوالدان والمربون الالتزام بها .

المبحث الثانى : أسس الأساليب الفكرية المؤثرة فى عقل الطفل .

المبحث الثالث : أسس الأساليب النفسية المؤثرة فى نفس الطفل .

المبحث الرابع : أسلوب الترغيب فى بر الوالدين والترهيب من عقوقهما .

المبحث الخامس : أسلوب تأديب الطفل .

obeikandl.com

«لا يدرى كثير من الناس أن الطفل واحد من رجال الأمة ، إلا أنه مستتر بثياب الصبا ، فلو كشف لنا عنه وهو كامن تحتها ، لرأيناه واقفاً فى مصافِّ الرجال القوامين ، لكن جرت سنة الله ألا يتفق زوال تلك الأستار إلا بالتربية شيئاً فشيئاً ، ولا تؤخذ إلا بالسياسات الجيدة على وجه من التدريج» .

الشيخ : محمد الخضر حسين رحمه الله

(السعادة العظمى ص ٩٠).

obeikandl.com

تمهيد

نستلهم هذه الأساليب التربوية ، مما يصل إليه الفكر فى الاستنباط ، من خلال الأحاديث النبوية ، ومعاملة الرسول ﷺ مع الأطفال ، بالإضافة إلى خطاباته المباشرة للأطفال ، أو للآباء فى طريقة معاملتهم لأطفالهم .

نلاحظ وفرتها وكثرتها ، الأمر الذى يدلُّ على غنى المادة الحديثية ،كما أنها لا تدع مجالًا لتقليد غرب ، أو شرق ، وبفضل هذه الكثرة يستطيع الوالدان والمربون أن ينْفُذوا إلى جميع مداخل الطفل النفسية والفكرية ؛إذ تُنير لهم الطريق ، وتقدِّم لهم الحلول الناجحة فى بناء شخصية الطفل ، وتربيته ، وتكوينه على نحو ما تقدَّم .

وفى هذا الاستنباط قد تتكرَّر بعضُ الأحاديث ، فليس ذلك تكرارًا مملًا ، وإنما إظهار جانب جديد لما يوحيه الحديث من ظلال وأفكار ، وبعد رصْد هذه الأساليب تبيّن أنها تنقسمُ إلى خمسة أسس يتفرّعُ عن كل واحد منها قواعد أساسية فى الأساليب التربوية النبوية للأطفال .

فالأساسُ الرئيسى الأول : موجَّه إلى الوالدين والمربين ، وماذا عليهم أن يلتزموا به من قواعد ، وذلك لضبط سلوكهم ، وأفكارهم .

وأما الأساس الثانى : فهو أسسُ الأساليب الفكرية المؤثرة التى يستطيع المربون والوالدان أن ينفذوا من خلالها إلى فكر الطفل ، وعقله ، وتثبيت الأفكار لديه ، وتنمية مداركه العقلية ، وبناء شخصيته .

وأما الأساس الثالث : فهو أسس الأساليب النفسية المؤثرة و التى يستطيع المربون والوالدان الدخول إلى نفس الطفل ، والتأثير عليه ، وتنمية ثقته بنفسه ، وبنائها نحو كمال أفضل .

وأما الأساس الرابع : فهو أسلوب الترغيب فى بر الوالدين ، والترهيب من

عقوقهما ، ونكرر هنا ضرورة مراجعة الوالدين بر والديهم ؛لأن البر يسرى فى الحال، والعقوق تنتقل عدواه إلى الأبناء ، وفاقد الشيء لا يعطيه ، وباب بر الوالدين واسع وكبير جداً ، فمهما قدم المرء لوالديه فهو مقصر ، وشعوره بالتقصير دعوة له للاستزادة من بر الوالدين، جعلنى الله وإياك من الأبرار .

وأما الأساس الخامس : فهو أسلوب تأديب الطفل وطريقة ضربه ، ومتى يضرب ، وفى أى الأماكن يجوز فيه الضرب ، وهى مواصفات آلة الضرب ، وأن الضرب مثل الدواء والملح ، فزيادته ونقصانه يبقى الحالة على ما هى عليها من العقوق والتمرد . فوجب الاهتمام به بدقة وعناية .

وهذه محاولة متواضعة ، أرجو فيها التوفيق من الله تعالى . فما كان من صواب فكَرَمُه وعطاؤه سبحانه ، وما كان غير ذلك فمن نفسى الخاطئة المقصرة ، أرجوه سبحانه المغفرة، والسداد .

ولا بد من الإشارة إلى أنَّ طريقةَ الاستنباط كانت من الحديث مباشرة ، على خلاف ما يفعله بعضهم ، من أخذ الأسلوب الغربى أو الشرقى ، ثم البحث عن دليل له فى الشرع ، وفى تقديرى – والله أعلم – أن هذا العمل ترقيعى ، لا يلبث الزمن أن يكشف بطلان ذلك الأسلوب ، مما يُعرِّض الشريعة إلى تناقضات هى فى الأصل غنية عنها ، لو اتبعنا أسلوب السلف الصالح أن يكون الكتاب والسنة هما النبعين الأصيلين ، وعمل السلف الصالح هو التطبيق العملى لما ورد فيهما .

* * *

المبحث الأول

أسس الأساليب المخاطب بها الوالدان والمربون والالتزام بها

obeikandl.com

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ :

«علِّموا ، ويسِّروا ولا تعسروا ، وبشروا ولا تنفروا ، وإذا غضب أحدكم فليسكت»

رواه أحمد والبخارى فى الأدب .

(صحيح ، انظر: صحيح الجامع رقم ٤٠٢٧).

obeikandl.com

أسس الأساليب المخاطب بها الوالدان والمربون والالتزام بها

الأساس الأول : القدوة الحسنة :

للقدوة الحسنة أثر كبير فى نفس الطفل ؛ إذ كثيرًا ما يقلِّد الطفل والديه ، حتى إنهما يطبعان فيه أقوى الآثار «فأبواه يهوِّدانه أو يمجِّسانه أو ينصِّرانه» . ويحثُّ رسول الله ﷺ الوالدين أن يكونا قدوة حسنة فى خُلُق الصدق أثناء تعاملهم مع الأطفال :

أخرج أحمد عن أبى هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قال : «من قال لصبى : تعال هاك ، ثم لم يعطه ، فهى كذبة» .

وأخرج أبو داود عن عبد الله بن عامر قال : دعتنى أمى يومًا ، ورسول الله ﷺ قاعد فى بيتنا ، فقالت : تعال أعطك ، فقال لها ﷺ: «ما أردت أن تعطيه ؟» قالت : أردت أن أعطيه تمرًا ، فقال لها : «أما إنكِ لو لم تعطه شيئاً ، كُتِبت عليك كذبة» .

والأطفال بمراقبتهم لسلوك الكبار ، فإنهم يقتدون بهم ، فإن وجدوا أبويهما صادقين سينشؤون على الصدق ، وهكذا فى باقى الأمور .

وهذا الطفل ابن عباس رضى الله عنهما عندما شاهد أمامه من يقوم الليل ، فإنه يسارع لذلك ، ويلحق برسول الله ﷺ :أخرج البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : بتُّ عند خالتى ميمونة ليلة ، فقام النبى ﷺ ، فلما كان فى بعض الليل قام رسول الله فتوضأ مِنْ شنٍّ مُعلق وضوءًا خفيفًا ، ثم قام يصلى ، فقمت ، فتوضأت نحوًا مما توضأ ، ثم جئتُ فقمت عن يساره ، فحوَّلنى ، فجعلنى عن يمينه، ثم صلى ما شاء الله ... الحديث .

فقد توضأ الطفل على نحو ما رآه ، ثم وقف يصلى . وهكذا تكون القدوة الحسنة المؤثرة فى الطفل .

وفى مطالبة الوالدين بالقدوة الحسنة ، فإن الطفل الناشئ يرقب سلوكهما ، وكلامهما ، ويتساءل عن سبب ذلك ، فإن كان خيرًا فخير ، فهذا الطفل عبد الله بن أبى بكرة يراقب أدعية والده ، ويسأله عن ذلك ، ويجيبه والده دليل فعله هذا :

أخرج أبو داود عن عبد الله بن أبى بكرة – رحمه الله – قال : قلت لأبى : يا أبت، أسمعك تقول كل غداة : اللهم عافنى فى سمعى ، اللهم عافنى فى بصرى ، ولا إله إلا أنت ، تكررها ثلاثًا حين تصبح، وثلاثًا حين تمسى . فقال :يا بنى ، إنى سمعتُ رسول الله ﷺ يدعو بهن ، فأنا أحبُّ أن أستنَّ بسنته .

وإن التزام الوالد بالسلوك العملى يجعل الابن يحفظ ذلك السلوك ويرويه للآخرين ، فإن كان سلوكًا صحيحًا ، أشاع الخير ، وإن كان غير ذلك ، أفسد المجتمع :

فعن عبد الله بن أبى أوفى رضى الله عنهما قال : كان النبى ﷺ إذا أتاه قومٌ بصدقتهم، قال النبى ﷺ «اللهمَّ صَلِّ على آل فلان» فأتاه أبى بصدقته ، فقال : ﷺ : «اللهمَّ صلِّ على آلِ أبى أوفى» متفق عليه . وروى الترمذى – وقال : حديث حسن غريب – عن مسلم بن أبى بَكْرَة قال : سمعنى أبى وأنا أقول : «اللهم إنى أعوذُ بكَ من الهمِّ والكَسَلِ ؛ وعذاب القبر» . قال : يابُنىَّ ، ممن سمعتَ هذا ؟ قلتُ : سمعتُكَ تقولُهُنَّ ، قَال : الْزَمْهُنَّ ، فإنى سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُهُنَّ .

فالوالدان مطالبان بتطبيق أوامر الله تعالى وسنة رسوله ﷺ سلوكًا وعملًا ، والاستزادة من ذلك ما وسعهم ذلك ؛ لأن أطفالهم فى مراقبة مستمرة لهم صباح مساء ، وفى كل آن ، «فقدرة الطفل على الالتقاط الواعى ، وغير الواعى كبيرة جدًا ،

أكبر مما نظن عادة ، ونحن ننظر إليه على أنه كائن صغير لا يدرك ، ولا يعى»[1].

الأساس الثانى : تحيّن الوقت المناسب للتوجيه :

إن لاختيار الوالدين للوقت المناسب فى توجيه ما يريدان ، وتلقين أطفالهم ما يحبان دورًا فعالًا فى أن تؤتى النصيحة أكلها ... وإن اختيار الوقت المناسب المؤثر فى الطفل ، يسهل ويقلّل من جهد العملية التربوية ؛ فإن القلوب تُقْبِل وتُدْبِر ، فإن استطاع الوالدان - زمن إقبال قلوب أطفالهم - توجيههم ؛ فإنهم سيحققون فوزًا كبيرًا بعملهم التربوى .

وإن الرسول ﷺ كان دقيق النظر إلى تحيُّن الزمان والمكان المناسبين لتوجيه الطفل، والاستفادة منهما فى تلقين الطفل الأفكار ، وتصحيح سلوكه الخاطئ ، وبناء سلوك سليم صحيح .

وقد قدَّم النبى ﷺ لنا ثلاثة أوقات أساسية فى توجيه الطفل ، فما هى هذه الأوقات ؟

١ـ النزهة ، والطريق ، والمركب :

فحديث ابن عباس رضى الله عنهما الذى رواه الترمذى قال : كنت خلف النبىﷺ يوماً ، فقال : «يا غلام ...، الحديث يدل على أن هذه التوجيهات النبوية كانت فى الطريق ، وهما يسيران إما مشيًا على الأقدام ، أو سيرًا على الدابة ، ولم تكن هذه التوجيهات فى غرفة محدودة ، وإنما فى الهواء الطلق ، حيث نَفْسُ الطفل أشد استعدادًا للتلقى ، وأقوى على قبول النصائح ، والتوجيهات .

وإن رواية الحاكم فى مستدركه (٣/ ٥٤١) تؤكد أن السير كان على الدابة ، فروى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : أُهدى إلى النبى ﷺ بغلة ، أهداها له كسرى ، فركبها بحبلٍ من شعر ، ثم أردفنى خلفه ، ثم سار بى ملياً ، ثم التفت ،

(١) منهج التربية الإسلامية (٢/ ١١٧) لمحمد قطب .

فقال : «يا غلام»[1] قلت : لبيك يا رسول الله ! قال : «احفظ الله يحفظك ...» الحديث .

حتى إن الرسول ﷺ ليحمّل أحد الأطفال فى الطريق سرًا من أسراره لكى يحفظه، وما ذلك إلا لقوة تأثر الطفل للتلقى فى مثل هذه الأوقات .

أخرج الإمام مسلم عن عبد الله بن جعفر رضى الله عنهما قال : أردفنى رسول الله ﷺ ذات يوم خلفه ، فأسرَّ إلىَّ حديثًا ، لا أُحدِّث به أحداً من الناس ، وكان أحبّ ما استتر به رسول الله ﷺ لحاجته هدفٌ أو حائش نخل .

٢ ـ وقت الطعام :

ففى هذا الوقت يحاولُ الطفل أن ينطق على سجيته ، ويضعف أمام شهوة الطعام، فيتصرف أفعالًا شائنة أحيانًا ، ويخلّ بالآداب أحياناً أخرى ، وإذا لم يجلس الوالدان معه باستمرار أثناء الطعام ، ويُصحِّحا له أخطاءه ، فإن الطفل سيبقى فى براثن العادات السيئة المنفرة ، كذلك فإن عدم الجلوس معهم فى أثناء طعامهم ، سيفقد الوالدين وقتًا مناسبًا لتلقى الطفل ، وتعلمه .

وقد أكل النبى ﷺ مع الأطفال ، وشاهد ، ولاحظ جملة من الأخطاء ، فقدَّمها بأسلوب حيوى أثار به عقل ، ونفس الطفل إلى التصحيح ، وهكذا كان .

أخرج البخارى ومسلم عن عمر بن أبى سَلَمِة - رضى الله عنهما ـ قال : كنتُ غلاماً فى حِجْر النبى ﷺ فكانت يدى تطيش فى الصَّحْفة ، فقال لى رسول الله ﷺ : «يا غلام ، سمِّ الله تعالى ، وكُلْ بيمينك ، وكل مما يليك» ، فما زالت طعمتى بعد .

وفى رواية أبى داود، والترمذى، وابن حبان فى صحيحه : «ادنُ يا بنى ، فسِّم الله، وكُلْ بيمينك ، وكُلْ مما يليك»[2] . فأنت تجد فى هذه الرواية دعوة النبى ﷺ الطفل إلى الطعام معه ، وذلك بكل رفق : «ادْنُ» ثم وجّهه إلى طريقة الطعام ، وآدابه.

(١) رقم (٢٧٥) عمل اليوم والليلة للنسائى ، ت ، د . فاروق حمادة .
(٢) صحيح . انظر : صحيح الجامع رقم (٢٥١) .

وغدا الصحابةُ يصطحبون معهم أطفالهم إلى الولائم ، وخاصة التى يحضرها رسول الله ﷺ ،فيتعلَّمون فى هذه الولائم علمًا نافعًا ، وآدابًا جامعة ، فيكتسبون قوة الرجولة شيئًا فشيئًا : روى الدارقطنى (٤/ ٢٨٥) عن عاصم بن كليب ، عن أبيه ، عن رجل من الأنصار ، قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ فى جنازة ، فانتهينا إلى القبر ، قال : فرأيته يوصى الحافر قال : «أوسعْ من قِبَل رأسه ، أوسِعْ من قِبَل رجليه» ، فلما انصرف تلقاه داعى امرأة من قريش ، فقال : إن فلانة تدعوك ، وأصحابك ، قال : فأتاها ، فلما جلس القومُ أتى بالطعام ، فوضع النبى ﷺ يده ، ووضع القوم ، فبينما هو يأكل إذ كفَّ يده ، قال : وقد كنا جلسنا بمجالس الغلمان من آبائهم ، قال : فنظر آباؤنا رسول الله ﷺ يلوك أكلته ، فجعل الرجل يضرب يد ابنه حتى يرمى العرق من يده ، فقال رسول الله ﷺ : «أجد لحمَ شاة أُخِذت بغير إذن أهلها ...».

وفى رواية له:«فذهب بى أبى معه قال: فجلسنا بين يدى آبائنا مجالس الأبناء من آبائهم. وفى رواية له ثالثة : «خرجت مع أبى وأنا غلام مع رسول الله ﷺ ... ثم ذكر الحديث» .

٣ـ وقت مرض الطفل :

المرض يلينُ قلوبَ الكبار القساة ، فما بالك بالأطفال الذين ما زالت قلوبهم عامرة باللين ، وحسن الاستقبال ؟ ! فالطفل عندما يمرض يجمع بين سجيتين عظيمتين فى تصحيح أخطائه ، وسلوكه ، وحتى معتقده : سجية فطرية الطفولة ، وسجية رقة القلب والنفس فى أثناء المرض ، وقد وجَّهنا إلى هذا رسول الله ﷺ فزار طفلًا يهوديًا مريضًا، ودعاه إلى الإسلام ، وكانت الزيارة مفتاح عهد النور لذاك الطفل .

روى البخارى عن أنس ﷺ قال : كان غلام يهودى يخدم النبى ﷺ فمرض ، فأتاه النبى ﷺ يعوده فقعد عند رأسه ، فقال له : «أسلمْ» فنظر إلى أبيه وهو عنده،

فقال : أطعْ أبا القاسم ، فأسلم ، فخرج النبى ﷺ وهو يقول : «الحمد لله الذى أنقذه من النار» .

أرأيت كيف كان هذا الطفل يخدم النبى ﷺ ولم يدعه إلى الإسلام بعد ، إلى أن وجد النبى ﷺ الوقت المناسب لدعوته ، فأتاه ، وعاده . إلى مثل دعوة النبى ﷺ للأطفال أدعو نفسى وأدعوك وإلى الصبر والحلم فى الدعوة ، وتحين الوقت المناسب ؛ لإلقاء بذرة الإيمان ؛ لتنمو فى التربة الصالحة فى الوقت الصالح .

وهكذا أصبح بيدى الوالدين ثلاثة أوقات رئيسية مناسبة فى توجيه الطفل ، وبناء شخصيته ، وهى : وقت النزهة والطريق والركوب ، ووقت الطعام ، ووقت المرض ، وإلى غيرها من الأوقات التى يجدها الوالدان مناسبة لطفلهم .

الأساس الثالث : العدل والمساواة بين الأطفال(١) :

وهذا ركنٌ ثالث مخاطب به الوالدان للالتزام به ؛ ليستطيعا تحقيق ما يريدان ، ألا وهو : العدل ، والمساوة بين الأطفال ؛ إذ لهما كبير الأثر فى مسارعة الأبناء إلى البر والطاعة .

ويكفى أن نعلم أن شعور الطفل بأن أحد والديه يميل إلى أخيه ، ويكرمه ، ويُدَلله أكثر منه، إن مجرد هذا الشعور- لا سمح الله- سيجعل فى هذا الطفل شراسة، لا يقوى الأبوان على الصمود أمامها ، وحسدًا لا يستطيع الوالدان كبح جماحه ، فهؤلاء أخوة يوسف لما علموا من أبيه ميل قلبه إلى يوسف رموا أباهم بالخطأ ﴿ إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾ ﴾ [يوسف] .

---

(١) اختلف الموجبون فى كيفية التسوية ، فقال محمد بن الحسن وأحمد وإسحاق وبعض الشافعية : العدل أن يعطى الذكر مثل حظ الأنثيين كالميراث ، وقال الجمهور : لا فرق بين الأنثى والذكر ، والظاهر: الأمر بالتسوية . عن كتاب تحقيق القضية فى الفرق بين الرشوة والهدية للشيخ عبد الغنى النابلسى (ص ٢١٩) .

فكانت نتيجة قناعتهم هذه أن يُقْدموا على عمل مشين فى حق الأخوة وحق الأبوة : ﴿ ٱقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ۝٩ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ۝١٠ ﴾ [يوسف] .

وهكذا حبكوا هذه المؤامرة على أخيهم الطفل الصغير ، الذى لم يبلغ الحلم ، ولا ذنب له إلا إظهار والده حبه له أكثر من إخوته ، فكان هذا الحسد وذاك الكيد ؛ لذلك مهما قدَّم الوالدان من نصائح وتوجيهات ، وترغيب وترهيب ، فلن تكون له أىّ جدوى ما لم يلتزما بالعدل ، والمساواة بين الأطفال ، ماديًا ومعنويًا ، ولا يظهرا ميلهم القلبى أمام أطفالهم ، وأبنائهم .

وقد وضح لنا رسول الله ﷺ قاعدة عظيمة فى طريقة برّ الأطفال ، وخضوعهم لوالديهم .. إنه العدل والمساواة ، وإليك بيان هذا :

روى الشيخان عن النعمان بن البشير رضى الله عنهما : أن أباه أتى به رسول الله ﷺ فقال : إنى نحلتُ (أى : أعطيت) ابنى هذا غلامًا كان لى ، فقال رسول الله ﷺ: «أكلّ ولدك نحلتهُ مثل هذا ؟» فقال : لا، فقال رسول الله ﷺ : «لا تشهدني على جَوْر»، ثم قال ﷺ: «أيسرُّك أن يكونوا لك في البر سواء؟» قال: بلى، قال رسول الله ﷺ:«فلا إذًا».

وفى رواية لمسلم فقال:«أفعلت هذا بولدك كُلّهم؟!» قال:لا:قال:«اتقوا الله، واعدلوا فى أولادكم» فرجع أبي في تلك الصدقة.

وفي رواية الدارقطني (٣/ ٤٢):فقال النبي ﷺ :«لك ولد غيره؟» قال: نعم، قال:«فأعطيتهم كما أعطيته؟»قال:لا، قال: «ليس مثلي يشهدُ على هذا، إن الله تعالى يحب أن تعدلوا بين أنفسكم».

وروى الإمام أحمد وأبو داود والنسائي وابن حبان من حديث النعمان بن بشير رضى الله عنهما قال: قال رسول اللهﷺ :«اعدلوا بين أولادكم، اعدلوا بين أولادكم، اعدلوا بين أولادكم»[1] .

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال: قال رسول اللهﷺ :«اعدلوا بين أولادكم في النِّحَل؛ كما تُحِبُّونَ أن يَعدِلوا بينكم في البرِّ واللطفِ» رواه ابن أبي الدنيا في كتاب العيال (١/ ١٧٢) وقال محققه: حديث صحيح.

يقول الشيخ عبدالغني النابلسي ـ رحمه الله ـ معلقًا على الأحاديث: «ووجه الدلالة في هذه الأحاديث: أن عدم المساواة بين الأولاد حرام، فوق أن تمييز بعض الأولاد على البعض الآخر أمر من شأنه توليد العداوة، والحقد، والبغضاء بينهم، ويؤدي إلى قطيعة الرحم»[2] .

ومن شدة يقظة السلف الصالح: أنهم كانوا يعدلون بين أبنائهم حتى في القبلة؛ استجابة لنداء رسول اللهﷺ وتنفيذًا لأمره، وحتى إن رسول اللهﷺ لينبه إلى العدل في القبلة بين الصبي والبنت فقد روى البيهقي عن أنس ﷺ : أن رجلًا كان جالسًا مع النبيﷺ فجاء بنيٌّ له، فقبّله،وأجلسه في حجره، ثم جاءت بنية فأخذها، فأجلسها إلى جنبه، فقال النبيﷺ: «فما عدلت بينهما!».

وعن الحسن قال: بينما رسولُ اللهﷺ يُحدث أصحابه إذ جاء صبي ، حتى انتهى إلى أبيه في ناحية القوم، فمسح رأسه وأقعده على فخذه اليمنى. قال: فلبث قليلاً، فجاءت ابنةٌ له حتى انتهت إليه، فمسح رأسها وأقعدها في الأرض، فقال رسول اللهﷺ: «فَهَلا على فخذك الأخرى»؟! فحملها على فخذه الأخرى. فقالﷺ:«الآن عدلت». رواه ابن الدنيا في كتاب العيال (١/ ١٧٣) وقال محقق الكتاب: حديث مرسل ، رجاله رجال الصحيح ، ثم قال: ولهذا الحديث شاهد جيد أخرجه البزار

(١) إسناده حسن. انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم (١٢٤٩).
(٢) عن: تحقيق القضية في الفرق بين الرشوة والهدية للشيخ النابلسي ص: (٢١٧).

في مسنده (كشف الأستار: رقم ١٨٩٣) عن أنس بن مالك ﷺ أن رجلاً كان عند النبيﷺ فجاء ابن له فقبّله وأجلسه على فخذه، وجاءته بنية له فأجلسها بين يديه، فقال رسول اللهﷺ: «ألا سويت بينهم؟!» وانظر: مجمع الزوائد: (٨/ ١٥٦).

وعن إبراهيمَ بنِ يزيد النَّخَعِي قال: «كانوا يستحبون أن يسووا بين أولادهم حتى في القُبَل». رواه ابن أبي الدنيا في كتاب العيال (١/ ١٧٤) وقال محقق الكتاب: إسنادٌ صحيح.

وعن السري بن يحيى قال: «حدثني من أثق به أن عمر بن عبدالعزيز ضمَّ ابناً له، وكان يُحبه، فقال: يا فلان، والله إني لأُحِبُّكَ، وما أستطيع أن أُوثِرَكَ على أخيك بلُقْمة». رواه ابن أبى الدنيا في كتاب العيال (١/ ١٧٦) وقال محقق الكتاب: إسناد مقبول.

ويقول طاوس: لا يجوزُ ذلك ولو برغيف محترق، وبه قال ابن المبارك، وروي معناه عن مجاهد وعروة [١]، فأي منهاج في العالم كله، وأي مدرسة تربوية على الكرة الأرضية تستطيعُ أن تنبه إلى العدل في القبلة، والجلوس في الحجر والجوار؟! إنها مشكاة النبوة.

وفي كثير من الأحيان قد يقع التشاجرُ، والقتال بين الأبناء، أو بين الأطفال،فحتى تصفو النفوس الناشئة، وتبتعد عن الكيد والحسد، فلا بد من التفريق بينهم، وإحقاق الحق، وإبطال الباطل، والعدل والمساواة بينهم.

فهذا رسول اللهﷺ يفرق بين طفلين اقتتلا، ويصحح لهما أفكارهما الخاطئة، ويدعو الكبار إلى دفع الظلم بشتى صوره ... ومتى ارتفع الظلم حل العدل مكانه.

روى مسلم عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: اقتتل غلامان: غلامُ من المهاجرين،وغلام من الأنصار، فنادى المهاجري: يا للمهاجرين!ونادى

(١) عن تحقيق القضية في الفرق بين الرشوة والهدية للشيخ النابلسى ص: (٢١٧).

الأنصاري:يا للأنصار! فخرج النبيﷺ فقال: «ما هذا؟ دعوى الجاهلية» قالوا:لا يا رسول الله، إلا أن الغلامين اقتتلا، فكسع[1] أحدهما الآخر، فقال: «لا بأس، ولينصر الرجل ،أخاه ظالمًا أو مظلومًا، إن كان ظالمًافلينهه فإن هذا له نَصْر، وإن كان مظلوماً فلينصره».

ومن العدل: أن تفرق بين الأطفال إذا رأيتهم يقتتلون؛ لأنه لا بد من وجود ظالم منهم ومظلوم، ولهذا قال الترمذي: رأيت أبا عبدالله (أي:أحمد بن حنبل) مرَّ على صبيان الكتَّاب يقتتلون، ففرَّق بينهم[2] .

ومن صور العدل الخالدة في التربية النبوية: أن سوى بين العبد وسيده في المأكل والمشرب، وهذا لم يحصل، ولن يحصل إلا عند المؤمنين:

روى البخاري ومسلم عن المعرور بن سويد قال: لقيتُ أبا ذرٍّ بالرَّبْذةِ، وعليه حُلَّةٌ ، وعلى غُلامهِ حُلَّةٌ ، فسألته عن ذلك ؟ فقال : إنى سابَبْتُ رَجُلاً ، فعَيَّرْتُهُ بأمه ، فقال لى النبىُّ ﷺ : «يا أبا ذرٍّ ، أعَيَّرْتَهُ بأُمِّهِ ، إنكَ امرؤٌ فيكَ جاهليةٌ ، إخوانُكم ؛ خَوَلُكمُ ، جعلهم الله تحت أيديكم ، فمن كان أخوه تحت يده ، فليُطْعِمْهُ مما يأكُلُ ، وليُلْبِسْهُ مما يَلْبَسُ ، ولا تُكلِّفُوهم ما يغلبُهُم ، فإن كَلَّفْتموهم فأعينوهم» .

وفى ختام هذا الركن نوجِّه هذه البشارة إلى الوالدين العادلين ، والمربين المقسطين؛ لنرى الأجر الأخروى يوم القيامة لهم ، فضلًا عن تحقيق أهدافهم التربوية فى الدنيا ، وذلك بالفوز بمنابر من نور ، جعلنى الله وإياك منهم ، ووفّقنى الله وإياك إلى التمسك بالعدل .

روى مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : «إن المقسطين عند الله على منابر من نور ، الذين يعدلون فى حكمهم وأهليهم وما وُلُّوا».

---

(١) الكسع: أن تضرب دُبُر الإنسان بصدر قدمك.

(٢) الآداب الشرعية والمنح المرعية لمحمد بن مفلح المقدسي الحنبلي (١/ ١٨٢).

وبقى سؤال مهم يواجه الوالدين ، وهو : متى يجوز التفضيل ؟

يرى الإمام أحمد بن حنبل – رحمه الله – حرمة التفضيل بين الأولاد ، ما لم يكن هناك داع ، أو مقتض للتفضيل ، فإنه لا مانع منه ، قال فى «المغنى»[1] :

«فإن خصّ بعضهم لمعنى يقتضى تخصصه ، مثل اختصاصه بحاجة ، أو زمان ، أو عمى ، أو كثرة عائلة،أو اشتغاله بالعلم ونحو ذلك من الفضائل، أو صرف عطية عن بعض ولده لفسقه ، أو بدعته ، أو لكونه يستعين بما يأخذه على معصية الله، أو ينفقه فيها ، فقد روى عن أحمد ما يدل على جواز ذلك؛ لقوله فى تخصيص بعضهم بالوقوف : لا بأس به إذا كان لحاجة ، وأكرهه إذا كان على سبيل الأثرة والعطية فى معناها»[2] .

الأساس الرابع : الاستجابة لحقوق الأطفال :

إن إعطاء الطفل حقه ، وقبول الحق منه ، يغرس فى نفسه شعورًا إيجابيًّا نحو الحياة ، ويتعلَّم أنَّ الحياة أخْذٌ وعطاء ، كذلك فإنه تدريب للطفل على الخضوع للحق ، فيرى أمامه قدوة صالحة ، وإن تعوده العدل فى قبول الحق ، ورضوخه له ، تتفتح طاقته لترسم طريقها فى التعبير عن نفسه ، ومطالبته بحقوقه ، وعكس هذا يؤدى إلى كبتها وضمورها .

فهذا رسول الله ﷺ يستأذن غلامًا على يمينه لكى يتنازل عن حقه ليعطيه للكبير، الذى على يساره ، فإذا بالطفل لا يؤثر سؤر رسول الله ﷺ على نفسه لأحد أبدًا، فيعطيه رسول الله ﷺ الإناء ليشرب ، ويهنأ فى الاستمتاع بحقه .

أخرج البخارى ومسلم عن سهل بن سعد ﷺ : أن رسول الله ﷺ أتى بشراب،

---

(١) انظر : المغنى لابن قدامة (٥/ ٦٠٤) .

(٢) عن تحقيق القضية فى الفرق بين الرشوة والهدية للشيخ النابلسى (ص: ٢١٨) .

فشرب منه ، وعن يمينه غلام ، وعن يساره الأشياخ ، فقال للغلام : «أتأذن لى أن أعطى هؤلاء ؟» ، فقال الغلام : لا ، والله يا رسول الله ، لا أوثر بنصيبى منك أحدًا، فتلّه (أى : وضعه) رسول الله ﷺ فى يده . وزاد رزين : «والغلام : الفضل بن العباس» [1] .

وعندما يتقدم أحد الأطفال معترضاً – لشعوره بغبن حقه – إلى رسول الله ﷺ قبل معركة أحد ، ويقول لحبيبه ، ومصطفاه : يا رسول الله ، لقد قبلت ابن عَمى فى دخول المعركة ، وأنا إن صارعته صرعته ، فيأذن رسول الله ﷺ لهما بالمصارعة أمامه ، وإذا به يفوزُ على ابن عمه ، ويصرعه ، فما كان من رسول الله ﷺ إلا أن أذن له ليكون جنديًا مسلمًا فى قتال المشركين .

فهل هناك شخص فى الدنيا أعلى مكانة ، وأسمى منزلة ، وأرفع جاهًا ، وأكثر جنودًا وتابعين أفضل من رسول الله ﷺ ؟ كلا .. وألف كلا .. فهو قبل الحق من الصغير ، وهو علّمنا ووجّهنا أن نقبل الحق من الصغير دون تكبر ، أو استعلاء ، أو تعجرف على الصغير.

ويمكن أن نسأل صنفاً من الكبار : علامَ الحيل ، واللفّ ، والدوران مع الأطفال، والتهرب من الخضوع والاستجابة لحقوقهم ؟ ! لمثل هؤلاء نوجّه الحديث التالى :

روى ابن عساكر والديلمى عن ابن مسعود ﷺ قال : قلت للنبى ﷺ : علمنى كلمات جوامع نوافع ، فقال : «اعبد الله ولا تشرك به شيئاً ، وزلْ مع القرآن أينما زال ، واقبل الحقَّ ممن جاء به صغيراً أو كبيراً وإن كان بغيضاً بعيداً ، وارْدُدِ الباطل ممن جاء به صغيرًا أو كبيرًا ، وإن كان حبيبًا قريبًا» .

ومن حق الطفل: أن يصبح إماماً ، وقائداً ، إذا كان عالماً قارئاً على من يكبره

(١) انظر: جامع الأصول (٥/ ٨٤) ت : الأرناؤوط . وذكره النووى فى كتابه : (رياض الصالحين) باب: التنافس فى أمور الآخرة .

بالعلم ، والمعرفة ؛ روى الإمام عبد الرزاق فى مصنفه عن مهاجر بن حبيب الزبيدى قال : اجتمع أبو سلمة بن عبد الرحمن وسعيد بن جبير ، فقال سعيد بن جبير لأبى سلمة : حدِّث فإنا سنتبعك ، قال أبو سلمة : قال رسول الله ﷺ : «إذا كان ثلاثة فى سفر فليؤمّهم أقرؤهم ، وإن كان أصغرهم ، فإذا أمّهم فهو أميرهم» . قال أبو سلمة: فذاكم أميرٌ أمَّره رسول الله ﷺ .

ومعلوم أن معنى : أقرؤهم : أى : أفقههم فى أحكام الصلاة ، وتلاوة القرآن .

روى الإمام مسلم : أن أبا موسى استأذن على عمر ثلاثاً ، فكأنه وجده مشغولاً، فرجع ، فقال عمر : ألم تسمع صوت عبد الله بن قيس ؟ ! ائذنوا له ، فدعى به ، فقال: ما حملك على ما صنعت ؟ قال : إنا كنّا نُؤمر بهذا ، قال : لتقيمن على هذا بينة ، أو لأفعلن ، فخرج فانطلق إلى مجلس من الأنصار ، فقالوا : لا يشهد على هذا إلا أصغرنا ، فقام أبو سعيد فقال : كنا نُؤمَر بهذا ، فقال عمر : خفى علىّ هذا من أمر رسول الله ﷺألهانى عنه الصفق بالأسواق . وفى رواية : «لا يقوم معه إلا أصغر القوم ، قال أبو سعيد : قلت : أنا أصغر القوم ، قال : فاذهبْ به» .وفى رواية : «لا يقوم معك إلا أصغرنا سنًا قمْ يا أبا سعيد!» .

أرأيت أخى المسلم ، كيف أن أمير المؤمنين يقبلُ شهادة الحق من الصغير أبى سعيد الخدرى – رضى الله عنهما ؟ فهلا نقتدى به ؟ !

وقد سار السلفُ الصالحُ على قبول الحق من الصغير مهما كان نوعه ؛ فهذا أبو حنيفة – رحمه الله – اتَّعظ بمقالة طفل صغير ، حينما رأى الإمام الطفل يلعب بالطين ، فقال للطفل : إياك والسقوط فى الطين ، فقال الغلام الصغير للإمام الكبير: إياك أنت من السقوط ؛ لأن سقوط العالِم سقوط العالَم ، فما كان من أبى حنيفة إلا أن تهتزّ نفسه لهذه المقولة ، فكان لا يُخرّج فتوى – بعد سماعه هذه المقالة من الطفل الصغير – إلا بعد مدارستها شهرًا كاملًا مع تلامذته [1] .

(١) مقدمة حاشية ابن عابدين .

قال مسعر : كنت أمشى مع أبى حنيفة ، فوطئ على رجْل صبى لم يره ، فقال الصبى لأبى حنيفة : يا شيخ ، ألا تخاف القِصَاصَ يوم القيامة ؟ قال : فغشى على أبى حنيفة ، فأقمتُ عليه حتى أفاق ، فقلت له : يا أبا حنيفة ، ما أشد ما أخذ بقلبك قول هذا الصبى ! قال : فقال : أخاف أنه لقن [1].

وروى ابن ظفر المكى [2] فقال : بلغنى أن السرى بن المغلس السقطى قرأ على مؤدبه : ﴿ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾ ﴾ [مريم] ، فقال : يا أستاذ ، ما الورد؟ فقال : لا أدرى ، فقرأ : ﴿ لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾ ﴾ [مريم] فقال : يا أستاذ ، ما العهد ؟ قال : لا أدرى ، فقطع السرى القراءة ،قال : إذا كنت لا تدرى ، فلم غررت بالناس ؟ ! فضربه المؤدب فقال السرىّ : يا أستاذ ، ألم يكفك الجهل والغرور حتى أضفت إليهم الظلم والأذى ، فاستحله المؤدب ، وتاب إلى الله تعالى من التأديب ، وأقبل على طلب العلم ، وكان يقول : إنما أعتقنى من رقِّ الجهل : السرى .

ولئن زدنا فى رواية هذه القصص ، فإنما لتنير لنا السبل ، وتدرّبنا على استماع كلام الصغير ، فقد دخل الصبى الحسين بن الفضل على بعض الخلفاء ، وعنده كثيرٌ من أهل العلم ، فأحب أن يتكلم ، فَزَجَرَهُ ، وقال : أصبىٌ يتكلم فى هذا المقام ؟ فقال : إن كنتُ صبياً فلستُ أصغر من هدهد سليمان ، ولا أنت أكبر من سليمان حين قال له : ﴿ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ ﴾ [النمل :٢٢] ، ثم قال : ألا ترى أنه فهّم الحكم سليمان ، ولو كان الأمر بالكبر لكان داود أولى [3] . وقد مرَّ معنا قبول الإمام مالك من الغلام الناشئ الإمام الشافعى ، وكيف صحح الطفل الصغير للإمام الكبير .

وهذا عمر بن عبد العزيز لما ولىَ الخلافة ، وبدأت الوفود تزوره لتهنئه بالمنصب

(١) ص (٤٠٦) مناقب أبى حنيفة للإمام الموفق بن أحمد المكّى المتوفى سنة (٥٦٨هـ) .
(٢) أنباء نجباء الأبناء لابن ظفر المكى ، ص (١٤٦) .
(٣) تذكرة الآباء وتسلية الأبناء لابن العديم (ص ٦٤) .

الجديد ، تقدم أحد الوفود غلام صغير ليتكلم باسم الوفد ، فقال الخليفة عمر : أما وجد القومُ مَنْ هُو أسن منك ليتكلم ؟ ! فقال الغلام: يا أمير المؤمنين،لو كان الأمر فى كبر السن لكان من هو أكبر فى مقامك هذا يا أمير المؤمنين ، أما علمت أن المرء بأصغريه : لسانه وقلبه ؟ ! فقال الخليفة عمر : عظنى يا غلام ! فوعظه حتى أبكاه[1].

أرأيت هذه النفوس العظمية ، والرؤوس المليئة بالعلم والمعرفة ، تتقبل النصح والإرشاد من الأطفال ، وتسمع إليهم بتواضع ، وتستفيد من آرائهم ، فيصححون من أفكارهم وطريقتهم ! جعلنى الله وإياك سائرين على هداهم ، وأن نقبل الحق من الصغير والكبير .

الأساس الخامس : الدعاء للأطفال :

الدعاء من الأركان الرئيسية التى يخاطب بها الوالدان للالتزام به ... وتحين لحظات الإجابة التى بيَّنها رسول الله ﷺ إذ دعاء الوالدين مستجابٌ عند الله تعالى ، فبالدعاء تزدادُ شحنة العاطفة وقودًا ، وتتمكن الرحمة والرأفة من قلبى الوالدين ، فيتضرعان إلى الله ـ تعالى، ويبتهلان إليه فى إصلاح الطفل ومستقبله ... وهذه سُنَّةُ الأنبياء والمرسلين على نحو ما تقدم من آيات فى أول صفحة من هذا الكتاب .

وإن رسول الله ﷺ ، هو رسول الإنسانية كافة ، وهو رحمة للعالمين ، ليكافئ من آذاه بالدعاء له ولذريته ، فهو فى الطائف ينال الأذى ، وصُفَّ له الصبيان ، حتى ما كان يضع رجله ويرفعها عن الأرض إلا أُصيبت بحجرة و يقذفها أولئك الصبيان ، والذين أصبحوا عمدة الإسلام فيما بعد ، بفضل بركة دعاء الرسول ﷺ لهم . فينزل جبريلُ ومعه مَلَكُ الجبال ، ويقول للرسول ﷺ : يا محمد ، هذا مَلَكُ الجبالِ تأمره أن يطبق عليهم الأخشبين (أى : الجبلين) فإذا برسول الله ﷺ ، الذى بشرت به الأنبياء

(١) مواقف حاسمة بين العلماء والحكماء ، لعبد العزيز البدرى . وانظر (ص ٦٤) من كتاب (تذكرة الآباء وتسلية الأبناء) لابن العديم .

والرسل من قبله يقول : «إنى أرجو أن يُخرج الله من أصلابهم من يعبد الله» .

وقد كان ذلك الأمل والرجاء ، وتحقق فى ميدان الواقع ، فجاءت ثقيف مسلمة بعد فتح مكة ، وخرج من صلب أولئك أحد أعظم الفاتحين فى الإسلام محمد بن يوسف الثقفى .

لهذا نجد خطورة من تدعو على ولده ، فهذا عملٌ خطير جدًا ، ومهما قلنا عن خطورته فهو أكثر ، لما فيه من دمار للطفل ، ولمستقبله ، ومن دمار للأبوين كذلك .

وقد نهى الرسول ﷺ الآباء والأمهات أن يدعوا على أولادهم ؛ لأن هذا منافٍ للخُلُق الإسلامى ، ويخالف التربية النبوية ، ويبتعد عن منهج النبوة فى دعوة الناس إلى الإسلام .

لهذا نجد النهى النبوى للآباء فى الدعاء على الأبناء :

روى أبو داود عن رسول الله ﷺ قال : «لا تدعوا على أنفسكم ، ولا تدعوا على أولادكم، ولا تدعوا على خدمكم ، ولا تدعوا على أموالكم ، لا توافقوا من الله ساعة ، فينزل فيها إعطاء ، فيستجاب لكم» .

وقد ذكر الإمام الغزالى: أنه جاء رجلٌ إلى عبد الله بن المبارك يشكو له عقوقَ ولده، فقال له: هل دعوتَ عليه ؟ فقال : بلى . فقال عبد الله بن المبارك : أنت أفسدته[1] .

فبدلاً من أن تكون سببًا فى إفساد الطفل بالدعاء عليه ، فلتكن سببًا فى صلاح الطفل ، فتدعو له ، كما فعل الرسول ﷺ فدعا للأطفال ، فبارك الله فى مستقبلهم بالعمل ، والمال ، والولد :

فقد أخرج البخارى عن ابن عباس – رضى الله عنهما – قال : ضمَّنى رسول

---

(١)الإحياء (٢/ ٢١٧) .

اللهﷺ إلى صدره وقال : «اللهم علِّمه الحكمة» وفى رواية : «علمه الكتاب» ، وفى رواية لمسلم والبخارى : «اللهم فقهه فى الدين» ، وعند أحمد زيادة : «وعلمه التأويل» .

وبفضل دعوة رسول الله ﷺ أصبح ابن عباس فى كبره حَبْر الأمة ، وترجمان القرآن .

وهذا رسول الله ﷺ يتبع أسلوب الدُّعاء للطفل لإنقاذه من أن يختار أمه النصرانية على أبيه المسلم ، وفى ذلك عبرة وعظمة لأهمية هذا الأسلوب النبوى ، الذى تفتقده الأساليب غير الإسلامية :

روى عبد الرزاق فى مصنفه[1] بسنده عن عبد الحميد الأنصارى عن أبيه عن جدِّه : أن جدّه أسلم ، وأبت امرأته أن تسلم ، فجاء بابن له صغير لم يبلغ ، قال: فأجلسَ النبىُّ ﷺ الأبَ ها هنا ، والأمَّ ها هنا ، ثم خيّره ، وقال : «اللهم اهده» فذهب إلى أبيه . رواه أحمد والنسائى أيضًا .

فالعقوق أقلّ بكثير ، ومع ذلك كان علاج النبى ﷺله هو الدعاء ، وبذلك يمكن القول أن الدعاء يقتلع جذور العقوق ؛ إذا أخلص الوالدان فى دعائهما ، واستمر به حتى فى السفر .

روى الإمام مسلم أن النبى ﷺ كان إذا استوى على بعيره خارجًا إلى سفر ، كبَّر ثلاثًا، ثم قال : «سبحان الذى سخّر لنا هذا وما كنا له مقرنين[2] ، وإنا إلى ربنا لمنقلبون ، اللهم إنا نسألك فى سفرنا هذا البر والتقوى ومن العمل ما ترضى اللهم هوّن علينا سفرنا هذا ، واطْوِعنا بعده ، اللهم أنت الصاحب فى السفر والخليفة فى الأهل، اللهم إنى أعوذ بك من وعثاء[3] السفر ، وكآبة المنظر ، وسوء المنقلب فى المال والأهل والولد»[4] .

---

(١) (٧/ ١٦٠) .

(٢) أى مطيقين .

(٣) أى : شدة .

(٤) ورواه ابن خزيمة فى صحيحه (٤/ ١٣٨-١٤١) .

وإن رسول الله ﷺ ليدعو للرجل وأهله حتى فى البيع والشراء والدَّين والوفاء ، وفى كل مناسبة ؛ ليؤكد للأتباع أهمية وفاعلية الدعاء فى الإصلاح وتربية الأفراد والمجتمع ؛ لأن فيه انتزاع الأنانية والبغضاء من الصدور : فقد استقرض النبى ﷺ من عبد الله بن أبى ربيعة مالاً ، ثم وفّاه إياه ، وقال : «باركَ اللهُ لكَ فى أهلك ومالك، إنما جزاءُ السَّلَفِ : الحمدُ والأداءُ» . رواه النسائى وابن ماجه وأحمد .

وحرصت الأمهات أن ينال أطفالهن دعوة من رسول الله ﷺ لينال الأطفال حظ الدنيا والآخرة .

هذه أم سُلَيْم – والدة أنس – تطلب من رسول الله ﷺ الدعاء لأنس ، فيدعو له:

أخرج الشيخان والترمذى عن أنس ﷺ قال : قالت أم سليم : يا رسول الله، خادمُك أنس ادعُ الله له ، فقال : «اللهم أكثر ماله وولده ، وبارك فيما أعطيته» .

وفى رواية للبخارى قال : جاءت بى أم سليم إلى رسول الله ﷺ قد أزرتنى بنصف خمارها ، وردتنى بنصفه ، فقالت : يا رسول الله ، هذا أنيس ابنى ، أتيتُك به يخدمك ، فادْعُ الله له ، فقال : «اللهم أكثرْ ماله وولده» قال : فوالله ، إن مالى لكثير ، وإن ولدى وولد ولدى ليتعادّون على نحو المائة اليوم .

وروى الترمذى عن أبى خلدة – رحمه الله – قال : قلت لأبى العالية : سمع أنس من رسول الله ﷺ ؟ قال : خدمه عشر سنين ، ودعا له النبى ﷺ وكان له بستان يحمل فى السنة الفاكهة مرتين ، وكان فيها ريحان يجىء منه ريح المسك .

وعن عبد الله بن هاشم ﷺ: أنه ذهبت به أمه إلى النبى ﷺ وهو صغير ، فمسح رأسه ، ولم يبايعه ، وفى رواية : «فمسح رأسه،ودعا له ، فكان يضحى بالشاة الواحدة عن جميع أهله» . رواهما الحاكم فى مستدركه (٣/ ٤٥٦) وسكت عنهما الذهبى ـ أيضاً .

وعن أبى حمزة بن عبد الله قال : «سألت أبى عبيد الله بن عتبة بن مسعود : أى شىء تذكر من رسول الله ﷺ ؟ فقال : أذكر أنه أخذنى وأنا خماسى ، أو سداسى ، فأجلسنى فى حجره ، ومسح رأسى ، ودعا لى ولذريتى بالبركة» . رواه الحاكم فى مستدركه (٣/ ٢٥٩) وسكت عنه ، وسكت الذهبى ـ أيضاً .

وإن الآباء ليتحركون إلى رسول الله ﷺ يطلبون منه الدعاء لهلاك الماشية من قلة الأمطار وبالتالى هلاك أولادهم وعيالهم من ضعف خزينتهم المالية .

روى البخارى عن أنس ﷺ قال :أتى رجُلٌ أعرابىٌ من أهل البَدْوِ إلى رسول الله ﷺ يوم الجمعة،فقال : يا رسول الله ، هلكت الماشيةُ ، وهَلَكَ العيالُ،وهَلَكَ الناسُ، فرفع رسول الله ﷺ يديه ؛ يدعو ؛ ورفع الناسُ أيديهم معه يَدْعون ، قال : فما خَرجْنا من المسجد ؛ حتى مُطِرْنا ، فما زِلْنا نُمطَرُ حتى كانت الجمعة الأخرى ، فأتى الرجلُ إلى نبى الله ﷺ فقال : يا رسول الله ، بَشِقَ المسافرُ ، ومُنِعَ الطريقُ .

وفى هذا الحديث ـ أيضاً فائدة الطلب من الصالحين الدعاء للأبناء . وفيه رفع الأمر لولى المسلمين فى حصول هلاك للمال أو هلاك للأبناء . وفيه تفاعل ولى الأمر مع طلب فرد من أفراد المسلمين مباشرة ، وعدم التسويف . وفيه تعويد ولى الأمر كافة الناس الالتجاء إلى الله تعالى فى الملمات والمدلهمات وعدم الاتكال إلا على الله تعالى . وفيه رفع الأيدى بالدعاء وامتثال الناس بفعله ﷺ بسرعة .

وقد يقول قائل : إن الطفل عاقّ ، ولا يستجيب لنداء والديه ؟ فالجواب على ذلك : سماحة سيدنا يعقوب مع أبنائه فقال : ﴿ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيَ ﴾ [مريم :٤٧][1] .

وإن من نتائج الدعاء أن يرى الوالدان ولدهما طيبًا صالحًا فتقر أعينهم به فى الدنيا قبل الآخرة . سئل الحسن عن قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ ﴾ [الفرقان :٧٤] يا أبا سعيد ، فى الدنيا أم فى الآخرة ؟ قال : فى الدنيا يرى

(١) قال المفسرون: سيستغفر لهم فى وقت السحر ، ويدعو لهم .

الرجلُ من ولده وزوجته عملاً صالحاً تَقَرُ به عينهُ .

وقال ابن عباس فى تفسير الآية : أما إنه لم يكن قُرة أعينٍ أن يرونه صحيحاً جميلاً، ولكن أن يرونَهُ مطيعًا لله عز وجل . وعن الضحاك قال : اجعل أزواجنا وذرياتنا صالحين أتقياء . وعن مسلمة بن كهيل قال : يطيعونك فلا يعصونك [1] .

فمع التربية ، وبذل الجهد ، يكون معه الدعاء ؛ لتحصل النتيجة بإذن الله تعالى.

﴿ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ ﴾

[الفرقان] .

الأساس السادس : شراء اللعب للأطفال :

روى البخارى ومسلم عن عائشة - رضى الله عنها - قالت : «كنتُ ألعبُ بالبنات ، فيأتينى صواحبى ، فإذا دخلَ رسولُ الله ﷺ فَرَرْنَ منه ، فيأخذُهنَّ رسول الله ﷺ ، فيردُّهُنَّ إلىَّ» . قال زين الدين أبو الفضل العراقى (ت ٨٠٦هـ) - رحمه الله- فى كتابه (طرح التثريب فى شرح التقريب) (٧/ ٥٨) فى شرح الحديث :فيه فوائد.

«**الأولى** : قال القاضى عياض : فيه جواز اللعب بهن ، قال : وهن مخصوصات من الصور المنهى عنها ؛ لهذا الحديث ، ولما فيه من تدريب النساء فى صغرهن بأمر أنفسهن وبيوتهن وأولادهن قال: وقد أجاز العلماء بيعهن ، وشراءهن ، وروى عن مالك كراهة شرائهن وهذا محمول على كراهة الاكتساب بهن ، وتنزيه ذوى المروءات عن تولى بيع ذلك ؛ لا كراهة اللعب .

قال : ومذهب جمهور العلماء جواز اللعب بهن ، وقالت طائفة : هو منسوخ بالنهى عن الصور . انتهى .

ومقتضاه استثناء ذلك من امتناع الملائكة عليهم السلام من دخول البيت ،

(١) انظر : كتاب العيال لابن أبى الدنيا (٢/ ٦٠٨) .

الذى فيه صور ، وقد يقال فيه مثل الخلاف المتقدم بين الخطابى والنووى فى الكلب المأذون فى اتخاذه ، هل تمتنع الملائكة من دخول البيت الذى هو فيه ، فقال الخطابى : لا ، وهو أرجح، وقال النووى : نعم .

وفيه اطراد مثل ذلك هنا ونظر ؛ إذ لو كان كذلك لمنع النبى ﷺ دخول مثل هذه الصور فى بيته ، وإن كان اللعب بها مباحًا،لحرصه على دخول الملائكة إليه ، وأن ذلك لا بد لهم منه ، والله أعلم .

الثانية : قال أبو العباس القرطبى : البنات جمع بنت ، وهن الجوارى ، وأضيفت إلى اللعب ؛ وهى جمع لعبة ، وهو ما تلعب به البنات ؛ لأنهن اللواتى يصنعنها ، ويلعبن بها .

قلت (أى : الحافظ العراقى) : المراد بالبنات هنا : نفس اللعب ، وتسميتهن بذلك من محاسن التشبيه الصورى ، كتسمية المنقوش فى الحائط أسداً ، والله أعلم .

الثالثة : فيه حسن خُلقه عليه الصلاة والسلام ؛ ولطيف معاشرته مع زوجته ، ومن يزورها من صواحبها ، بتمكينها من ذلك وجمع من يساعدها على ذلك عليها ، وما كان هذا إلا فى زمان الصغر قبل البلوغ» . انتهى من طرح التثريب .

إن إقرار الرسول ﷺ للعبة عائشة – رضى الله عنها – التى التى كانت تلعب بها، يدلنا على حاجة الطفل للألعاب ، وحبّه للمجسَّمات الصغيرة .

وإن مشاهدة الرسول ﷺ لعصفور أبى عميرة وهو يلعبُ به ، دليل آخر على حاجة الطفل للعب تكون بيديه ، فيتسلى بها .

وإن الحسين ﷺ كان عنده جرو يتسلى به : فعن على ﷺ قال : كانت لى من رسول الله ﷺ ساعةٌ من السحر آتيه فيها ، فكنت إذا أتيتُ استأذنت ، فإن وجدتهُ يصلى سبّح ، فدخلت ، وإن وجدته فارغًا أَذن لى ، فأتيته ليلة فأذن لى ، فقال: «أتانى

الملك ، أو قال : جبريل ، فقلت : ادخل، فقال:إن فى البيت مالا أستطيع أن أدخل[يعنى وهو فيه] قال: فنظرت فقلت:لا أجد شيئاً فطلبتُ ، فقال لى : أُنظر، فنظرت فإذا جَرْو للحسين بن على مربوط بقائم السرير فى بيتِ أم سلمة . فقال : إن الملائكة ، أو: إنا معشر الملائكة ، لا ندخلُ بيتاً فيه تمثال ، أو كلب ، أو جنب» . رواه أبو يعلى فى مسنده (١/ ٤٤٥) بسند صحيح .

ولكن من يأتى للطفل بهذه الألعاب ؟ إنه الوالدان ... فيشتريان له من اللعب ما يناسب عمره وقدراته ، ويضعونها بين يديه وفى متناوله ؛ وذلك ليبدأ بتشغيل عقله وحواسه ، وتنمو شيئًا فشيئًا، وحتى تكون اللعبة مفيدة وجيدة للطفل لا بد للوالدين أن يطرحا على أنفسهما التساؤلات التالية حين شراء الألعاب لأطفالهم :

س١ : هل اللعبة التى ستحضرها من النوع الذى يستثير نشاطًا جسديًا صحيًّا مفيدًا للطفل ؟

س٢ : أهى من النوع الذى يرضى الحاجة للاكتشاف ، والتحكم فى الأشياء ؟

س٣ : هى من النوع الذى يتيح التفكيك والتركيب ؟

س٤ : أهى من النوع الذى يشجع تقليد سلوك الكبار وطرائق تفكيرهم ؟

فإذا كانت الإجابة بنعم كانت اللعبة مناسبة ومفيدة تربويًا [١] .

الأساس السابع : مساعدة الأطفال على البر والطاعة ، وتهيئة أسبابها لهم :

إن تهيئة الأسباب للطفل حتى يبر والديه ، ويطيع أوامر الله تعالى ، يساعد الطفل على البر والطاعة ، وينشطه للاستجابة والعمل ، وإنَّ تهيئة الأجواء المناسبة يستدعى من الطفل أن يسير سيرًا محمودًا من تلقاء نفسه ، وبالتالى يكون الوالدان قد قدَّما له أكبر هدية فى مساعدته على النجاح .

(١) مقال للدكتورة: صالحة سنقر فى مجلة المعلم العربى السورية (ص ٧٦٣) ، عدد (١١و١٢) عام (١٩٧٩).

ومن شدة أهمية تهيئة الأجواء والأسباب ليكون الطفل بارًّا بوالديه ، جعل رسول الله ﷺ يدعو للآباء : أن ينزل الله تعالى عليهم رحماته ورضوانه لمساعدتهم أطفالهم ، فقد روى ابن حبان عن رسول الله ﷺ أنه قال : «رحم الله والداً أعان ولده على برّه» .

وروى الطبرانى عن أبى هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : «أعينوا أولادكم على البر ، من شاء استخرج العقوقَ من ولده» .

فإذا هناك مسؤولية كبيرة ملقاة على كاهل الوالدين فى إعانة طفلهم على برّهم،وإن لديهم القدرة فى استخراج العقوق منهم ، وذلك بالحكمة ، والموعظة الحسنة ، وطول الزمن .

الأساس الثامن : الابتعاد عن كثرة اللوم والعتاب :

نلاحظ أن رسول الله ﷺ ما كان يكثر العتاب على تصرفات وأعمال الطفل ، أو يلجأ كثيرًا إلى التوبيخ والتأنيب ، فهذا أنس - ﷺ - يخدم النبى ﷺ عشر سنين متوالية، فيصف تربية الرسول ﷺ : «فما كان يقول لى لشىء فعلته لم فعلته ، ولا لشىء لم أفعله لِمَ لَمْ تفعله» .

وأخرج الإمام أحمد عن أنس ﷺ قال : خدمتُ النبى ﷺ عشر سنين ، فما أمرنى بأمرٍ فتوانيتُ عنه ، أو ضيّعته فلامنى ، فإن أحد لامنى من أهل بيته قال : «دعوه ، فلو قدر ، أو قال : لو قضى أن يكون كان» .

وهذا الأسلوب من رسول الله ﷺ زرع فى نفس الطفل(أنس) دقة الملاحظة،وروح الحياء ، مما جعله يلحظ هذه الملاحظة من رسول الله ﷺ .

بل إن هناك أثرًا يدل ويوجه الآباء والأمهات إلى الابتعاد عن اللوم والعتاب ، وإظهار عيوب الطفل بكثرة :

فقد روى [1] عبد الرزاق بن عروة ، عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ ، أو قال أبو بكر ، أو قال عمر رضى الله عنهما لرجل عاب على ابنه شيئًا صنعه : «إنما ابنك سهمٌ من كنانتك» .

فعندما يعيبُ الأب على ابنه ، إنما يعيبُ على نفسه ؛ لأنه هو الذى خرَّج هذا الولد ، وكان حريًا أن يسارع إلى تربيته .

ووضَّح شمس الدين الإمبابى فى رسالته «رياضة الصبيان وتعليمهم وتأديبهم» هذه الفكرة فقال : «ولا يكثر عليه الملامة فى كل وقت ؛ فإنه يُهَوِّن عليه الملامة ، وركوب القبائح» [2].

ويستحسن إظهار محاسن الطفل أمام الآخرين ؛ ليزداد حيوية ونشاطًا، وتتهيج مشاعره الإيجابية فى تحسين أعماله ، وتحريك نفسه نحو تحقيق المجد قدماً ، فالثناء على الطفل أمام الآخرين أفضل من إظهار أخطائه ، فالرسول ﷺ مدح الحسن والحسين - رضى الله عنهما - عندما ركبا على ظهره : بـ «نِعْمَ الراكبان هما» وذلك ردًّا على قول أحد الصحابة : «نِعْمَ المطية مطيتكما» .

أما داخل البيت فلا يمنع من تصحيح أخطاء الطفل المتكررة ، وتوجيهه نحو الأحسن والأفضل ، وتدريبه عمليًّا داخل البيت على تنفيذ الأوامر والاستجابة لها . وبالله التوفيق .

---

(١) عن : البيان والتعريف فى أسباب ورود الحديث لابن حمزة (٢/ ١٠٢) .
(٢) التربية فى الإسلام (ص ١٣٠) .